هاشم الخطاط وجهوده في الخط العربي الإسلامي

م. د. خمائل شاكر الجماليّ
مركز إحياء التراث العلمي العربي
جامعة بغداد
dr.khamael_sh@yahoo.com

***تاريخ الاستلام:٢٠٢١/٢/٣ *تاريخ القبول:٢٠٢١/٣/١٦**

الملخص

لم ينل " الخط " عند أمة من الأمم ذوات الحضارة ما ناله عند المسلمين من العناية به والإكبار له والتفنن فيه . اتخذوه بادئ ذي بدء وسيلة للمعرفة ، من ثم ألبسوه لباساً قدسياً من الدين ، فأولوا آيات من القرآن تأويلاً يشير إليه ، ولما فتحت الفتوح ، وامتدت البلاد ، وزهرت الحضارة ، أصبح الخط فناً غايته الجمال ، وأصبح الخطاط فناناً بالمعنى الذي عرفه عصرنا ، ويعد الخطاط هاشم محمد البغدادي المولود سنة (١٩٢١) من الرواد ، وقد أنماز خطه بقدرة فنية عالية على إجادة الخطوط العربية وضبطها وأدائها بشكل متقن ، كما تجاوز الإمكانات الفنية لغيره من الخطاطين فأعاد لبغداد مجدها العالي في الخط العربي وله ذهنية مبدعة مبتكرة في خلق تكوينات مؤثرة في الخطوط العربية ، وإمتاز بغزارة الانتاج وبالنشاط الشخصي .

الكلمات المفتاحية : هاشم الخطاط ، الخط العربي ، الإسلامي .

Hashem Al-Khattat and his efforts in Islamic Arabic calligraphy

M.D. Khamael Shakir Al Jamali

Center for the Revival of Arab Scientific Heritage / University of Baghdad

Abstract:

The line is among a nation of civilized nations did not attain what Muslims took care of, admiration and mystery over it. They used it first as a means of knowledge, then they put on a sacred garment from the religion, and they gave verses from the Qur'an an interpretation that refers to it, and when the opening was opened, and the country spread, and civilization flourished, calligraphy became an "art" whose goal is "beauty", and the callig rapher became an artist in the sense that we know our time, The calligrapher, Hashem Muhammad Al-Baghdadi, was born in (١٩٢١), and his calligraphy was distinguished by a high technical ability to master Arabicc alligraphy, fine-tuning and performing itelaborately. Arabic,

And was distinguished by its abundance of production and personal activity.

Key words: Hashem Al-Khattat, Arabic calligraphy, Islamic.

مقدمة :

عُني العرب المسلمون بفنون الخط وتجلت عبقريتهم فيه ، وأدخلوا في تزيين مختلف الصناعات المعدنية والخشبية ، فضلاً عن تزيين الجدران الجصية ، وقد برعوا فيه ، وجعلوه في مقدمة الفنون التشكيلية والتطبيقية ، واشتهروا بالخطين الكوفي والحجازي ، واستطاع الخطاطون العرب أن يبتكروا صوراً شتى للخط العربي إذ تمكنوا أيضاً من جعل بعض الحروف أساساً لوحدات زخرفية بديعة ، وتلاعبوا برؤوسها ، وأطالوا سيقانها ، وجعلوا من أقواسها وخطوطها الأفقية والرأسية ومداتها وفتحاتها وهمزاتها وكسراتها وضماتها عناصر زخرفية لملء الفراغات الحادثة بين الحروف الكبيرة ، يحس من يتأملها بالنشوة والارتياح ، وفي مقدمة هذه الحروف حروف الخط الكوفي ، وجاءت هذه التسمية نسبة إلى مدينة الكوفة في العراق التي نشأ فيها هذا الخط ، وتطور فيها بشكل ملحوظ ، ويأتي بعد الخط الكوفي الخط الحجازي الذي جاء للعراق بعد الفتح الإسلامي ، وتناول الخطاطون في الكوفة والمدن العراقية الأخرى ، واستخدموه في التذهيب والتنسيق .

واستخدم الخط في تزيين واجهة المساجد والأضرحة وجوانبها ، وكتابة المصاحف الكريمة ، والنقش على العملات وعلى واجهة قبور الناس.

وظهر الخط العربي شكل تقييمي جمالي مهم في العصر الإسلامي وعلى أنه أصيل يعبر عن روح حضارتنا وفلسفتنا معاً في أكثر جوانبها اشراقاً على حد قول الأستاذ (شاكر حسن آل سعيد) في كتابه البعد الواحد ، ويقول أيضاً ظلت القيمة الحقيقية للخط العراقي الإسلامي شكلاً ، وبعداً مجهولة طوال العصور المتقدمة

لعصرنا الراهن حتى قيض لها أن تعرف بعد بحث الفنان المعاصر الموضوعي الجهيد والكشف الروحي المضني ، يستطرد في قوله قائلاً مما حدا ببعض الفنانين الأوربيين استخدامه عنصراً من عناصر العمل الفني مثل (بيكاسو) و(باول كلي) والفنان المستقبلي ما رينتي في شكله الكتابي من حيث إنه حرف ، وفي النصف الثاني من القرن العشرين اكتشفت أهمية الحرف العربي نفسه كونه عنصراً زخرفياً ثم تكوينياً في العمل الفني ، وأخذ الفنان العربي على عاتقه لأول مرة في التاريخ الحديث مسألة تطوير قيمة مهمة من قيم حضارة هو ممثلها الشرعي ، فارتأى من ثم مواكبة النهضة الفكرية في العالم .

وكان المرحوم (هاشم البغدادي) علماً متميزاً من أعلام المدرسة البغدادية ، وصاحب المنهج الذي أعاد إليها ما عرفت به من خصائص ، قد أثرت أن نقف عنده ، وهو وريث مدرسة عريقة يمثل الشيخ (محمد علي الفضلي) علماً من أعلامها البارزين الذين غرسوا في نفس أبي راقم بذورها الأولى ووضعوا أمامه تراثها وخصائصه التي ورثها ، وتنطلق الأفعال الإرادية في تحديد الجانب الواعي في الأعمال الخالدة والممارسة الموفقة والانتصار في تثبيت القواعد الأساسية التي يتمثل فيها المزج الفني ، والتركيب المقتدر ، والاتقان الهادف ، والأصالة الفنية التي ترسخت في فن الأستاذ هاشم .

المبحث الأول : الخط العربي

مفهوم الخط :

يقترن مفهوم(الخط) اقتراناً شديداً بمفهوم (الكتابة) في المعنى وفي الاستخدام ، حتى ليبدو المفهومان وكأنهما شئ واحد ، لما بينهما من العلاقة القوية والدلالية الخاصة والقوية التي تستند إلى كون الأول من معاني الآخر في العرف اللغوي الذي نصت عليه المعاجم بالذات .

ولكون النظر في المأثور العربي : الأدبي ، والديني ، والوظيفي المتعلق بهذين المفهومين ، يكشف عن وجود تباين دلالي دقيق وواضح بينهما ، يتمثل فيما يمكن أن نسميه (عمومية الكتابة) و(خصوصية الخط) في التمثيل البصري – الرمزي للفظ أو المعنى بخاصة ، واللغة بعامة .

من هنا تبدو (الكتابة) عملية رسم للفظ المعنى ، وتعييناً مكانياً منظوراً له ، وربما لذلك عمد العرب إلى تمييز أداء (الكتابة) وأثرها في الصوت والصورة ، فأطلقوا على(صوت الكتابة) اسم : (النميم) ، وعدوا (الخط) اسماً أو مصطلحاً لـ (صورة الكتابة) أو (مصور المعاني) [١]

وتؤكد المصادر العربية : اللغوية والأدبية والتاريخية والفلسفية ، أن (الخط صورة) وهندسة صعبة ، ليس عبر تعرضه من آراء وشروح وتطبيقات كما في بعض رسائل هذا الفن ومؤلفاته الأولى مثل :

* رسالة ابن مقلة (أبو علي محمد ، ت٣٢٨هـ/٩٤٠) " في علم الخط والقلم "..

* رسالة ابن الصائغ (عبد الرحمن بن يوسف) ، ت٨٤٥هـ/١٤٤١م) الموسومة بـ " تحفة أولي الألباب في صناعة الخط والكتاب "..

*رسالة الهيتي (عبدالله بن علي ، ت٨٩١هـ/١٤٨٩م)" العمدة في الخط والقلم "..

وغير ذلك فقط، بل وكذلك من تكرارها وتبنيها لبعض المقولات الفلسفية في الكتابة والخط ، المنسوبة إلى بعض الفلاسفة اليونانيين مثل :

*أرسطو (ت٣٢٢ق. م) الذي تنسب إليه مقولة : " :" الكاتب : العلة الفاعلية ، والقلم : العلة الآلية ، والخط : العلة الصورية ، والبلاغة : العلة التمامية "..

* واقليدس (ت بعد ٣٠٠ق. م) الذي تنسب إليه مقولة " الخط هندسة روحانية ظهرت بآلة جسمانية "..

وعلى الرغم من أن للفظ (التصوير) في المعرفة العربية الإسلامية معاني ودلالات واسعة ومتشعبة وعديدة، منها : (التشكيل / التكوين / التخييل / التجسيم / الترسيم / التخطيط / الترقيم / التنقيش / التخليق / التقدير/ التمثيل / التشبيه)..

فإن هذه المعاني والدلالات لا تخرج في مفهومها العام عن معنى (الصورة) المرادف لمعنى (الشكل) ، وعن دلالتها المباشرة على (الأثر) .

وما تقدم يمكن القول بإيجاز: أن المعرفة العربية الإسلامية قد تنبهت ، منذ وقت مبكر ، إلى الطبيعة المكانية /الهندسية / الشكلية / الجسدانية) لـ(حقيقة الخط) ، بوصف هذه الحقيقة هي حمولته المفهومية الكلية والأساس التي تقرر ، بشكل نهائي ، كون الخط " صورة معروفة وحلية موصوفة " [٢] .

نشأة الخط العربي وتطورِه:

تجمع المصادر العربية على أن آدم (عليه السلام) قد عرف الخط العربي قبل موته بثلاثمائة سنة. فقد كتبه في الطين . فلما كان الطوفان وجد كل قوم كتابهم فكتبوا به . وقال رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) : " أول من خط بالقلم بعد آدم عليه السلام ، إدريس عليه السلام".

وإذ عدنا إلى القرنيين الأول والثاني قبل الميلاد نجد أن حضارة اليمن التي قامت وقتئذ قد بسطت سيطرتها على الجزيرة العربية وعلى القبائل القاطنة في شمال تلك الجزيرة، وأنها كانت تكتب باللغة الحميرية وبالقلمين المسند والمشتق من المسند [٣].

وفي رواية لشرقي بن القطامي : أن أول من وضع الخط العربي رجل من طي كان له ثمانية أبناء سمى كل واحد منهم بكلمة من (أبي ، جاد ... الخ) .

أما الرواية الأقرب إلى الصحة وجمعاً لحروف العربية فتقول : أن أول من اخترع وألف بين حروف الخط العربي ستة أشخاص من طسم في جزيرة العرب كانوا نزولاً عند عدنان بن أدد وكانتْ أسماؤهم (أبجد، هوز، حطي ، كلمن ، سعفص ، قرشت) ، فوضعوا الكتابة والخط على اسمائهم فلما وجدوا في الألفاظ حروفاً ليست من أسمائهم ألحقوها وسموها الروادف وهي (ث خ ذ ، ض غ ظ) ثم انتقل عنهم إلى الأنبار فالجزيرة وعم العرب [٤].

أهمية الخط العربي:

لم ينل " الخط " عند أمة من الأمم ذوات الحضارة ما ناله عند المسلمين من العناية به والإكبار له والتفنن فيه . اتخذوه بادئ ذي بدء وسيلة للمعرفة ، من ثم

ألبسوه لباساً قدسياً من الدين ، فأولوا آيات من القرآن تأويلاً يشير إليه ، ولما فتحت الفتوح ، وامتدت البلاد ، وزهرت الحضارة ، أصبح الخط " فناً " غايته " الجمال" ، وأصبح الخطاط فناناً بالمعنى الذي عرفه عصرنا . فوضعت للخط قواعد ، واخترعت طرائق وظهرت أساليب ، تهدف كلها إلى بلوغ الجمال الكامل فيه ، ولقد استطاع الفنان المسلم أن يبلغ غايته إذ أدرك ما في الحروف العربية من خصائص فنية جمالية من الانتصاب والرشاقة والتناسق والامتداد والتدوير والتناسب ، فساعده ذلك على اعطائها أشكالاً مختلفة ، وأن يخلع عليها جمال الحياة . فبينما كانت الحروف اليابسة التي تطورت من النبطية في الجاهلية المتأخرة تبدو كأنها قطع من الحجارة الصم الميتة ، انقلبت بعد حين إلى قامات ، وأغصان وأزهار ، بعد أن كان الخط وسيلة للعلم أصبح مظهراً من مظاهر الجمال ، تفور فيه الحياة ويجري السحر . وما زال هذا الخط ينمو حتى بلغت أساليبه بعد عناية الفرس والترك به الثمانين ، وقد تزيد[٥].

وأعظم فنان مسلم دفع الخط العربي نحو الكمال وقربه من الجمال وأقامه على قواعد جمالية هو ابن البواب لقد كان له أثر عميق ظل واضحاً في الأجيال التي أتت بعده . وظل الخطاطون يتناقلون " طريقته" إلى عصور متأخرة ، ولم يتح للخط من أسبغ عليه ألواناً من الحسن والرشاقة مثله . ومن المؤسف أن هذا الفنان العظيم لم يدرس حتى الآن دراسة فنية عميقة ..[٦]

أسس الخط العربي :

يعدّ ابن مقلة (٢٧٢– ٣٢٨هـ) ، واضع الأسس الحديثة للخط العربي ، وأول من هندس الحروف ، وكان بارعاً في علم الهندسة ، ويرجع الخط في زمانه ، وقد أتخذ النقطة وحدة للقياس ، واتخذ حرف الألف أساساً لرسم بقية الحروف ، وطبق قواعده هذه على الخطوط اللينة من الخط الكوفي ، والكتابة الاعتيادية ، واستفاد من الأصول القديمة في الخط ، ثم جاء (ابن البواب) وهو (علي بن هلال) الذي توفي سنة (٤١٣هـ/ ١٠٢٢م) ، وأفاد من ابن مقلة وقطع في الخط أشواطاً بعيدة في التطور ، وقد أرسى الكثير من قواعد الخطوط اللينة ، وعلى رأسها خط الثلث وابتدع الخط الريحاني وكتب الخط الكوفي بتفوق عظيم ، وسارت طريقته في الأفاق، ولم تتغير حتى ظهر ياقوت المستعصي ، ومن أبرز ظواهر عصر ابن مقلة وابن البواب:–

١– استمرار السيادة للخط الكوفي في المصاحف والكتابات التذكارية إلا ما ندر تقريباً .

٢– ظهور الكوفي المزهر .

٣– تأثيرات الخطوط اللينة وتطويرها مقصور على الكتب فقط ، إلا أنها كتب لها السيادة في القرن السادس الهجري ، ويعدّ (ياقوت المستعصي) من أشهر خطاطي العراق . وظهر في القرن السابع الهجري في زمن الخليفة المستعصم بالله ، وقام ياقوت بخط نسخة من نهج البلاغة للإمام علي (عليه السلام) ، كما اشتهر ابن مقلة وابن البواب فظهرت براعة الأول في هندسة الحروف ، ووضع لها مقاييس

لضبط أشكال مداتها وقوائمها ، وقد عاصر ابن مقلة الخليفة العباسي المقتدر ، والخليفة القاهر ، ثم الراضي ، وكان ياقوت يكتب على طريقة (ابن البواب) كما ذاع صيت ابن البواب ، وذاعت شهرته في القرنيين الرابع والقرن الخامس الهجري ، وكان نقاشاً فضلاً عن كونه خطاطاً ، وبرع في زخرفة الكتب وخطها ، واشتهر بخط النسخ وطوره وتقدم ملموساً . وقد خلف لنا الخطاطون العراقيون نماذج بديعة من خطوطهم على واجهات المساجد والمدارس والمباني العباسية [٧]

أنواع الخط العربي :

أنواع الخط العربي ثمانية هي : الكوفي، والرقعة، والديواني، وجلى الديواني، والنسخ، والثلث، والتوقيع الفارسي – إلى جانب خط مستحدث هو الخط الحر [٨].

الخط الكوفي :

هو أقدم خط في بلاد العرب – وبلغ أعلى منزلة في العصر العباسي – وأدخلت عليه تحسينات في الرسم والشكل – ويستخدم في الكتابات التي تحتاج إلى مساحات كبيرة مثل المساجد ، وقد دخل مع الفتوحات الإسلامية إلى كل بلد دخله الإسلام حتى سماه المستشرقون الخط الإسلامي – ولا يستعمل إلا قليلاً –). ومن الخطاطين القدامى المشهورين فيه : مالك بن دينار وبديع الزمان الهمذاني وياقوت الرومي وابن مقلة وابن البواب والبخاري والبوصيري والقلقشندي – ومن النساء : الشفاء – والسيدة حفصة أم المؤمنين وشهدة بنت الإبرى والسيدة بزم عالم أم السلطان عبد المجيد خان ، واشتهر بإجادته الأستاذ يوسف أحمد المصري الذي بعثه من مرقده طوال (٤٠٠) عام – والأستاذ يوسف أحمد يعدّ رائد الخط الكوفي

في العصر الحديث وله فيه رسائل فريدة . وهذا الخط كما قلنا دخل كل بلد دخله الإسلام – فدخل سوريا ومصر والمغرب والأندلس وإيران وأفغانستان والهند والملايو وجاوة والفلبين والصين والتركستان وروسيا والحبشة والسودان والصومال – وعن طريق الأتراك عرفه البلغاريون والألبان كما نقل إلى أمريكا الجنوبية [٩]

وقد اخترعت بعد الخط الكوفي خطوط أخرى جعلته متأخراً وقل استعماله على مدى السنين حتى أصبح من الألغاز المعقدة التي يصعب حلها فتنسى ردحاً من الزمن وبعثه يوسف أحمد من مرقده وأصبح من الخطوط العصرية .

وممن أشتهر بتجويده في مصر : الأساتذة يوسف أحمد ومحمد عبد القادر ومحمد خليل وحسن برعي . وفي لبنان الأستاذ محمد برهان كبارة – وفي العراق الأستاذ يوسف ذنون[١٠]. ونظراً لأن الخط الكوفي كتب به قرون عدة، منذ القرن الأول – فقد وجد عناية كبيرة من الذين كتبوا به . ويقول الأستاذ يوسف ذنون في مقالاته أن الدراسات الأولية التي كتبت عنه قسمته على أقسام مختلفة فمنهم من قسمه حسب الشكل فقالوا – الكوفي : الكوفي البسيط، والمورق، والمزهر، والمضفورُ، والمزخرف، والمربع ، والمخمل – ومنهم من قسمه بحسب العصور فقالوا كوفي القرن الأول، وكوفي القرن الثاني، وكوفي القرن الثالث و... أو الفاطمي أو الأيوبي والمملوكي والحديث – ومنهم من قسمه بحسب المكان فقالوا الكوفي والأندلسي والشامي والبغدادي والموصلي – كما أن هناك أسماء قديمة له منها : العراقي والمحقق والمشق والجليل والنصف [١١].

ونستطيع أن نضع الخط الكوفي في أنواع :

١-كوفي المصاحف البسيط – الكوفي الفاطمي – الموصلي – الإيراني .

٢- الكوفي المورق – المخمل – المظفر .

٣- الكوفي الزخرفي – ذو النهايات العلوية المزخرفة – ذو الإطارات الزخرفية .

٤- الكوفي الهندسي الأشكال – المعماري [١٢]

الكوفي البسيط :

ومادته كتابية بحتة – وشاع في العالم الإسلامي في القرون الهجرية الأولى وما بعدها ولاسيماعلى شواهد القبور .

الكوفي المورق :

وتنبعث من حروفه القائمة وحروفه المستلقية ولاسيما الأخيرة سيقان رفيعة تحمل وريقات نباتية متنوعة الأشكال – وبدأت ظاهرة التوريق في مصر في القرن الثاني الهجري ويغلب أن تكون نزعة التوريق انتقلت من مصر إلى شرق العالم الإسلامي – ويعد التوريق الفاطمي غاية ما بلغته هذه الظاهرة في مصر من النمو والتطور والارتقاء . **الكوفي المضفر :**

أو المترابط أو المتداخل : وهو أن يضفر حروف الكلمة الواحدة أو الكلمتين أو أكثر لكي ينشأ من ذلك إطار من التضفير – وأقدم الأمثلة له من أوائل القرن الخامس الهجري وقد يبالغ في تعقيد التضفير إلى الحد الذي يصعب فيه تمييز العناصر الخطية من العناصر الزخرفية .

الكوفي الهندسي :

وينماز بشدة استقامة حروفه وإنها قائمة الزوايا على أساس أنه هندسي بحت – ومازالت نشأته غامضة وهو شائع في مساجد إيران والعراق – ويرجح أنه انتشر منها – وقد تدخل الكتابة في شكل هندسي كمثلث أو مربع أو مستطيل أو دائرة أو غيره وهذا النوع في مجموعة زخرفي بحت .

الكوفي الموصلي :

وكان منتشراً في الموصل وله طابع خاص ويجيده حالياً الأستاذ يوسف ذنون الموصلي وتلاميذه ، وقد اعتنى المستشرق (فلوري) بوضع قاعدة خطية ثابتة لكل عصر ليتعرف خصائصها حتى يمكن الاعتماد عليها في تاريخ الكتابة غير المؤرخة بطريقة المقارنة الأسلوبية – فيقارن الكتابة المؤرخة بهذه الكتابات ذات التاريخ ليحل مشكلة الفن الإسلامي على الخزف والمنسوجات والمباني والأحجار وشواهد القبور وغيرها – لإلحاق كل منها بعصره بطريق الاستدلال . وقد تمكن الدكتور إبراهيم جمعة في رسالته (دراسة في تطور الكتابات الكوفية) من وضع تحليل أبجدي للكتابات الكوفية التي على شواهد القبور في الخمسة قرون الأولى للهجرة – شرح خصائص ومميزات الكتابة لكل قرن والتطورات التي حدثت بعده [١٣]. ويقول ابن النديم : لم يزل الناس يكتبون على مثال الخطوط القديمة إلى أول الدولة العباسية – فحين ظهر الهاشميون اختصت المصاحف بهذه الخطوط [١٤] ، وقد كان يظن أن الخط الكوفي هو الذي استعمل وحده لكتابة المصاحف – ولكن ثبت من قول الفهرست أن خطوطاً أخرى استعملت لهذا الغرض – ومنذ القرن(

السابع الهجري) بطل استخدام الخط الكوفي في كتابة المصاحف وحل محله الثلث المملوكي في مصر والخط النسخي الأتابكي في الشام والعراق – أما الفرس فاستخدموا الفارسي والكوفي[١٥] .

مخطوطات المصاحف القديمة جميعها كتبت على الرق بالخط الكوفي الثقيل الخاص بالنقوش – ويوجد مصحف كامل من القرن الثاني مؤرخ ١٦٨ هـ في دار الكتب المصرية – كتابته بسيطة – به من نقط الاعجام وخال من نقط الحركات . وفي القرن الثالث بدأ شكل الحروف يميل إلى الاستدارة وفي بعض المصاحف كانت الكتابة ترسم أولاً أي تحدد برسم خطوط خارجية لها (ثم تملأ بالمداد ، ومن هذا النوع مخطوط بدار الكتب بالقاهرة ، وفي القرن الرابع بدأت تغلب على الحروف الاستدارة والزخارف في الحروف النهائية . وفي القرن الخامس بدأ الخط الكوفي يأخذ أشكالاً متداخلة وتسقط عنه الجودة . وفي القرن السادس بدأ رد الفعل ضد هذا الخط لظهور خطوط جديدة مستديرة إذ استعمل النسخ بعد ذلك في المصاحف . ومنذ العصر الأيوبي في مصر والشام بدأت الخطوط المستديرة اللينة تحل محل الخط الكوفي الجاف – على المباني والأحجار – ولم تلبث هذه الخطوط المستديرة اللينة أن انتشرت في شرق العالم الإسلامي وغربه – وغدت الذوق المفضل في النقش على المواد الصلبة لتأدية الأغراض التذكارية – ولم ينقض القرن السادس الهجري حتى قل شأن الخطوط الكوفية سواء في كتابة المصاحف أو في النقش على الأحجار وغيرها [١٦]

وهكذا مر الخط الكوفي في أدوار التطور ولكنه لم يكن في طريقه إلى الكمال ولهذا كان في طريقه إلى الانقراض– وكان الكتاب يجدونه صعباً في أكثر الأحيان[١٧].

خط النسخ :

منذ أواخر القرن الخامس الهجري قدر للخط أن ينال نصيباً في التجويد في شمال الشام بتحويله عن صوره السابقة إلى صورتين جديدتين . الصورة الأولى : خط بديع سمى خط النسخ وهو ابتكار سوري شمالي وابتدأت تكتب المصاحف ، والصورة الثانية : خط الطومار ومشتقاته . ومنذ ذلك التاريخ كتب للخطوط اللينة أن تسود وأن يعمم استخدامها في مختلف الأغراض ، وسمي خط النسخ بالنسخ لأن الوراقين أو النساخ كانوا ينسخون به المصاحف فغلبت عليه تلك التسمية – وسميت الآلة الكاتبة الحالية (بآلة النسخ) لكثرة نسخها لما يكتب عليها بصور الكربون أو بألة السحب – وفي الوقت نفسه فإن حروفها هي حروف خط النسخ – ومن ثم فتلك التسمية (البديع) لم تكن إلا صفة الخط النسخ قديماً وحديثاً . ومما تجمل معرفته أن الحروف العربية النسخية هي أكثر الحروف استعمالاً في تدوين القرآن وكتب الدين بين الأمم التي احتفظت بلغاتها الأصلية – وذلك لسهولة قراءته وعدم اللبس فيه – اللهم إلا في الهند والصين حيث استطاع الفرس بتأثيرهم الأدبي على هذه الجهات أن ينشروا خطهم الفارسي بأنواعه المعروفة إلى جانب الخط الباكستاني المشابه للخط النسخي . ومع ذلك بقيت للخط النسخي الغلبة على بقية أنواع الخطوط في تدوين المخطوطات الدينية حتى في بلاد الفرس ذاتها : إن خط النسخ الذي وجد مكتوباً في مخطوطات القرن الثاني للهجرة تطور على يد الخطاط

بن مقلة والخطاط ابن البواب في القرن الثالث والرابع ثم زاد في التجويد بعد ذلك . وقد خضع هذا الخط للنسبة الخاصة بالنقط – مثله مثل خط الثلث – وهذه هي نسبة تقريبية نظرية – تتعلق بالذوق الفني – وتوارثها الخطاطون .

وخط النسخ يساعد الكاتب على السير بقلمه بسرعة أكثر من خط الثلث – وذلك لصغر حروفه وتلاحق مداته . إذ إن عرض قلم الثلث تقريباً ؛ لهذا شاع وكثر استعماله في نسخ المنقول والعلوم والترجمات . وخط النسخ نوع جميل وسهل وأدخلت عليه تحسينات – وتكتب به المصاحف والأحاديث الشريفة –الكتب جميعها بالمطابع تكتب بحروف النسخ ويطالعه الطلاب يومياً في كتبهم . ويجيد هذا الخط كثير من الخطاطين منهم بمصر الأستاذ : محمد جعفر ومحمد إبراهيم الأفندي ومحمد رضوان ومحمد غريب العربي – بدوي ونجيب هواويني ومحمد مكاوي ومحمد حسني وسيد إبراهيم وعبد الرزاق سالم واحمد الحسني ... الخ [١٨].

خط الثلث :

وقد سبق الحديث عنه عند الحديث عن الخطوط القديمة – وهو أصعب وأرقى الأنواع – ولا يعد الخطاط خطاطاً إلا كتب هذا النوع وأجاده إجادة تامة على قواعده المخصوصة – بهذا النوع أسماء الكتب والأكليشهات واللافتات وأوائل السور القرآنية واللوحات القرآنية . وأول من وضع قواعده كما سبق ابن مقلة وزاد عليها حمد لله الأماسي ومصطفى راقم واشتهر بإجادته من الأتراك عبد لله زهدي بك والشيخ محمد عبد العزيز الرفاعي والخطاطون الأتراك الأساتذة : شفيق وشوقي وسامي والحاج كامل ونظيف وعبد القادر وحامد الآمدي وغيرهم . ومن البارعين فيه هاشم محمد

العراقي، و محمد بدوي الديراني السوري، ونجيب هواويني اللبناني ، ومن البارعين فيه من المصريين : محمد مؤنس وتلميذه محمد جعفر وتلميذهم علي بك إبراهيم ثم الشيخ علي بدوي ومحمد إبراهيم الأفندي، ومحمد رضوان ، ومحمد حسني ، ومحمد المكاوي، وسيد إبراهيم ومحمود الشحات ، ثم بعد ذلك هؤلاء تلاميذهم في البلاد الإسلامية كافة [١٩] .

خط التوقيع :

سمى كذلك خط الإجازة – وكان يسمى قديماً القلم المدور الكبير أو القلم الرياسي نسبة إلى ذي الرياستين لرياسة الوزارة والقلم الفضل بن سهل وزير المأمون الذي اعجب به وأمر إلا تحرر الكتب السلطانية إلا به – وهو يأخذ حروفه من حروف النسخ والثلث – وضع قواعده يوسف الشجري . وقد شوهد مكتوباً في القرن التاسع كتبه محمد بن حسن الطيبي . وفي العصر الحديث يكتب به خواتيم المصاحف والشهادات العامة والدبلومات والوثائق التي تكون بمثابة إجازات علمية وتحتاج إلى توقيعات . وحروف النسخ والثلث والتوقيع قريبة الشبه من بعضها – ومن قواعد هذه الخطوط أن توضع على الكلمات المكتوبة علامات التشكيل(الضمة والفتحة .. ألخ) ونماذجه قليلة ويجيده كل من يجيد الثلث والنسخ[٢٠] .

خط الرقعة :

هو أسرع وأسهل الخطوط – وهو يستعمل في دواوين الحكومات العربية جميعها– وبين عامة الناس لسرعته وسهولته وقد كان واسع الانتشار في الدولة العثمانية –

فقام المستشار ممتاز بك معلم الخط للسلطان عبد المجيد خان العثماني سنة ١٢٨٠هـ- بوضع قواعد خط الرقعة .

وقد اشتهر بإجادته محمد عزت التركي الذي وضع كراسة لأنواع الخطوط تضمنت خط الرقعة – وتعد مرجع الخطاطين في هذا النوع من الخط .

وقد وضعت فيه كراسات عدة في البلاد العربية – واشتهر بإجادته عبد الرزاق عوض المصري – حيث ذكر لي الأستاذ عبد الرزاق سالم أن الشيخ محمد غريب العربي كان يقول عن كتابته أنها كأنها محمد عزت – وأجادها الأساتذة : نجيب هواويني، ومحمد عبد الرحمن، وعبد الرزاق سالم ، واحمد الحسيني، ومحمد الكردي وغيرهم [٢١]

الخط الديواني :

كان الخط (الديواني وجلي الديواني) تسمى بمجموعة الخط الهيمانوني أي المقدس – لأنها كانت سراً من أسرار القصور السلطانية – لا يعرفها إلا كاتبوها وكانت تستعمل في كتابة التعيينات والأوسمة والنياشين والمناصب الرفيعة والأوامر الملكية والإنعامات والتوقيعات – ثم سمى بعد ذلك بالخط الديواني لاستعماله في الدواوين الرسمية الحكومية . وأول من وضع قواعده هو إبراهيم منيف التركي في عهد السلطان العثماني محمد الثاني بعد فتح القسطنطينية ببضع سنوات . وذلك بعد أن قام الترك بتطويره عن شكله الذي كان معروفاً [٢٢]

المبحث الثاني : عميد الخط العربي (هاشم محمد الخطاط)

أسمه : هو هاشم محمد درباس خليل إبراهيم القيسي ، أما اسم البغدادي والخطاط فهي ألقاب[٢٣] ، ولد هاشم عام (١٩١٧) في منطقة الفضل في بغداد وتوفي في ٣٠ نيسان سنة(١٩٧٣) ودفن في مقبرة الأعظمية[٢٤]

حياته : بدأ شغفه وميله بتعلم الخط العربي في مرحلة مبكرة فتردد على الكتاتيب وكان شيخه الأول الملا عارف الشيخلي ثم انتقل بعدها للتعلم عند الملا علي الفضلي ، وقد كان مجداً وشغوفاً ودؤوباً على التمرين حتى حصل على الإجازة من أستاذه عام (١٩١٤م)، وفي العام التالي رحل إلى مصر وانتسب إلى مدرسة تحسين الخطوط في القاهرة ، فلما عرض عليهم خطوطه وإجازته نالت إعجاب وتقدير إدارة المدرسة فقرروا مشاركته في إداء الامتحان في الصف النهائي فحاز هاشم درجة التفوق بامتياز وأجازه الخطاط المصري سيد إبراهيم والخطاط محمد حسني وكان ذلك في عام (١٩٤٤م) ، وطلبت منه إدارة المدرسة البقاء في القاهرة والتدريس في المدرسة ، لكنه فضل العودة إلى بغداد [٢٥]

شيوخه :ذات يوم كتب هاشم الخطاط لوحة في غاية الجودة والإتقان ، واعتنى بها كثيراً ، وقدمها إلى شيخه فأعجب بها . إلا أن المرحوم الحاج علي صابر، قد استكثر على تلميذه هذا التفوق ، وظن أنه قد نقلها عن بعض لوحات المصريين أو الأتراك .. فعاتب تلميذه هاشماً ونصحه أن لا يحاول النقل بعد اليوم . وعبثاً حاول التلميذ أن يقنع أستاذه بعدم النقل ، وإنه على استعداد لكتابة لوحة جديدة بالعبارة التي يختارها الشيخ ، وبتراكيب متعددة فلم يفلح . وكان المرحوم الحاج علي

صابر حاد المزاج ، فأنصرف عنه المرحوم هاشم ، ومضى يراجع العلامة الشيخ الملا علي الفضلي ، الذي كان يدرس علوم القرآن واللغة والعروض وأصول الخط العربي في جامع الفضل ، وبقي هاشم يكتب ويتمرن والملا علي يصلح له ويعجب بخطهِ ويشجعه ويوجهه حتى منحه (الإجازة) بالخط العربي سنة(١٩٤٣م) كان هاشم متعلقاً بشيخه يحبه ويحترمه ويقدره ، ويترحم عليه كلما ذكره ويثني عليه غاية الثناء [٢٦]

إن الفقر دفع بهاشم أن يبحث له عن عمل يدبر به أموره فاشتغل عاملاً في وزارة الدفاع مدة من الزمن ، وفي سنة (١٩٣٧) عُين خطاطاً مستخدماً في مديرية المساحة العامة وألتقى هناك بحكم عمله مع الخطاطين أمثال المرحوم صبري الهلالي وعبد الكريم رفعت وغيرهم ، وبقى هاشم يكتب في الدائرة في أثناء الدوام وعند المساء يراجع المرحوم الملا علي الفضلي حتى نال الإجازة منه [٢٧] ، وفي سنة (١٩٤٤م) سافر إلى مصر ، وأنتسب إلى معهد تحسين الخطوط بالقاهرة ، وكان قد عرض عليهم (الإجازة) وقدم نماذج من خطوطه ، فنالت أعجاب الأساتذة والمشرفين على المعهد . واتخذت إدارة المعهد قراراً بمشاركة هاشم في الامتحان الأخير للصف المنتهي ، وأجازه الخطاط المصري الشهير (سيد إبراهيم) إجازة خاصة وكذلك المرحوم الخطاط (محمد حسني) سنة (١٩٤٤م) ، وقد طلبت منه إدارة المعهد أن يبقى في مصر للتدريس في المعهد فأبى .

وعاد الأستاذ هاشم إلى بغداد وهو يحمل معه شهادة التقدير والإعجاب من عباقرة فن الخط العربي ، وفي سنة (١٩٤٦م) أفتتح المرحوم هاشم الخطاط في

بغداد (مكتب الخط العربي) بالمشاركة مع(الرسام أوكسن) في محلة السنك ببغداد (شارع الرشيد) ، ولم يكتف هاشم بهذه الشهادات الفنية ، ولم يشبع نهمه في الخط العربي [٢٨] ، وقاده طموحه لطلب المزيد ، فسافر إلى إستنبول وألتقى فيها بأساتذة الخط العربي ، ومن هناك حصل الأستاذ موسى عزمي المعروف (حامد ايتاجالأمدي) الذي يعدّ آخر السلسلة الذهبية للخطاطين العظام ، الإجازة الأولى كانت سنة (١٩٥٠م) والثانية كانت سنة (١٩٥٢م) وقد قال فيه الآمدي(لقد نبع الخط في بغداد دار السلام وها هو يعود إليها على أيديكم) تأثر هاشم محمد البغدادي بالمدرسة العثمانية فتأمل خطوط الحافظ عثمان وأعجب بخطوط محمد شوقي ومال إلى طريقة أحمد كامل وانبهر بأثار حامد الآمدي، وكان يكن الاعجاب الكبير بمآثر مصطفى راقم فسمى ابنه البكر راقما، أما على المستوى الوظيفي فقد بدأ هاشم حياته الوظيفية في مديرية المساحة العامة ببغداد ، ثم انتقل إلى معهد الفنون الجميلة لتدريس الخط العربي عام (١٩٦٠م) [٢٩]

تلامذته : أما تلامذته فقد تتلمذ على يدي الخطاط هاشم البغدادي جمهرة من خطاطي العراق والعرب ولعل كل خطاطي العالم الإسلامي قد اخذوا عنه عبر تأمل خطوط أثره الخالد (كراسة الخط العربي) التي طبعت في كل أرجاء المعمورة وبآلاف النسخ وتقليدها ، إلا أن أقرب تلاميذه إليه هو الخطاط صادق علي جمعة الدوري والخطاط مهدي الجبوري والخطاط غني عبد العزيز العاني فضلاً عن صلاح الدين شيرزاد وعبد الكريم الرمضان والسوري محمد القاضي والكثير من الاسماء المهمة الأخرى في عالم الخط العربي ممن لا يتسع المجال لذكرهم [٣٠]

نشاطاته: أوفد من الحكومة العراقية إلى المانيا مرتين للإشراف على طباعة القرآن الكريم ، الذي قامت وزارة الأوقاف بطباعته فقد خط وصمّمَ صفحتي فاتحة الكتاب ، ورمم ما تلف من الآيات في المخطوطة الأصلية المحفوظة في مكتبة خزانة النفائس لمقام أبي حنيفة النعمان ، المكتوبة بخط الخطاط العثماني محمد أمين رشدي ، كما أعاد كتابة عناوين السور والأحزاب والسجدات ، من جانب آخر فقد كتب البغدادي الكثير من الآثار الفنية وزينت خطوطه جدران المساجد وقبابها ومنائرها في كل المدن العراقية ولعل أبرز كتاباته تلك الشاخصة للعيان في جامع الخلاني، وابن بنية ، والحيدر خانة ، وجامع الكيلاني والكثير من الشواهد الحضارية الأخرى ، ثم أصدر البغدادي سفرهُ الخالد (كراسة الخط العربي) التي تعد المصدر الأول للمهتمين بدراسة الخط العربي وأنواع خطوطه ، وبذلك أصبح عميداً للخط العربي وأستاذاً للأجيال التي اعقبته[٣١]

المرحوم هاشم مشهور بغيرته على قواعد الخط العربي ، وضبطها ، وعم التسامح في (تطويرها) ، كما حصل التطوير في بيروت والقاهرة ، ولاسيما في عناوين الكتب والمجلات ووسائل الإعلان الحديث .

وكان يعد ذلك (جناية) على فن الخط ، كما يعده هزيمة من الالتزام في الضبط والقدرة على الإبداع في التراكيب . [٣٢]

ثانياً : جهوده في الخط العربي الإسلامي

أنماز خطه بقدرة فنية عالية على إجادة الخطوط العربية وضبطها وأدائها بشكل متقن ، كما تجاوز الإمكانات الفنية لغيره من الخطاطين فأعاد لبغداد مجدها

العالي في الخط العربي ، وله ذهنية مبدعة مبتكرة في خلق تكوينات مؤثرة في الخطوط العربية ، وأنماز بغزارة الانتاج وبالنشاط الشخصي [٣٣]

قال عنه الباحث والمؤرخ الراحل (د. حسين علي محفوظ) " كان هاشم الخطاط (رحمه الله) ثاني اثنين من أعلام الخط في العراق هما : المرحوم (صبري الخطاط) المتوفى سنة (١٩٥٣) و(هاشم) المتوفى سنة (١٩٧٣) ، وقد اتفق الخطاطون ومحبو الخط الجميل أنهما كانا من أواخر أساتذة هذا الفن البديع . أما صبري فقط كانت خطوطه ، وكراريسه ، وألواحه ، ورقاعه ، وكتاباته في بعض المشاهد ، وهو كاتب بارع وعبقري رزق خطه الإبداع ، والانسجام ، وجمال التركيب وحلاوة المزج ، وحسن التحشية والتحلية والتحرير ، والحق أن تقييمه يحتاج إلى دراسة مفردة . وما هاشم الذي انتهت إليه جودة الخط ، وأخذ عنه الكثير من رجال هذا الفن المعدودين في العراق ، فقد ألف كراسته في الخط العربي الجميلة التي أعدها سنة (١٣٨١هـ) وسماها " قواعد الخط العربي) ، إذ ترك له الألق والتلويز في ها (إهدنا) وما زالت أبارك براعته في(البسملة) و (وإنك لعلى خلق عظيم) و(على الله فليتوكل المتوكلون) و(الله غالب على أمره ، ولكن اكثر الناس لا يعلمون) ، وكنت أتمنى لو بسط كاف (لكن) وقور راء (أكثر) في النموذج البارع الذي كتبه من هذه الآية . وكنت اطيل النظر في سورة(الحمد)

التي كتبها بالأبيض والأسود : فأحمد (الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم) وأود لو خطف راء (الرب) وجمع راء (الرحمن) ويخيل لي أنه أجاد جداً كتابة (مالك يوم الدين إياك نعبد وأياك) و(غير المغضوب عليهم ولا الضالين) و(أن

الذين يبايعون الله) و(الله ولي التوفيق) [٣٤] ، وعندي أن (عبد لله) و(يد الله فوق أيديهم) وكلمة (نستعين) و(أنك لعلى خلق عظيم) من خيار نماذجه في (النستعليق) فأن النستعليق من أضعف خطوطه ، وقد كتب الحمد بما يشبه خط (الشكستة) البسيط ، وهو حقاً نموذج جميل .. وهكذا[٣٥]

أن الاهتمام الزائد الذي بدأت آفاقه تتسع ومعالمه تتضح ، يمثل العمق الفني الذي تركز في الأعمال الكبيرة، والإحاطة الشاملة التي استوعبت الزوايا المتباعدة ، والمعارف الأساسية من أبعاد فن الخط العربي الخالد ، ولعل صور هذا الاهتمام تلتقي في احتفال المركز الثقافي العراقي بلندن للمدة المحصورة بين ١١ تشرين الأول إلى ٢ تشرين الثاني لسنة (١٩٧٨م) ، الذي افتتح موسمه الفني بإقامة معرض شامل لأعماله ، وقد انمازت طريقة العرض ، وفنية التحضير ، وروعة الافتتاح بأشكال من التكريم توحي بإبرازه المهارة العربية التي أحاطت بكل الاستعدادات ، ورافقت كل الأشكال لمجابهة الرؤية الأجنبية ، والتحدي الثقافي الذي وقف بشموخ وهو يتحدى بروعته جماليات الكثر من الفنون والأنواع ، وتوحي بالاعتزاز التاريخي العريق الذي حقق المنجزات التراثية الحية في أعمال الفنان هاشم بعد أن حققها في أعماله التشكيلية الباهرة ، وهذا ما جعل المعرض الثقافي تظاهرة فنية كبيرة ، ومحاضرة تراثية مكتملة الأبعاد ، وتوجهاً فكرياً عريقاً بقيت آثاره واضحة المعالم في الجانب الإعلامي الأجنبي ، واستمرت أحاديثه قائمة في المجال الثقافي والوسط الفني إلى جانب ما أثاره في النفوس من أحاسيس ومشاعر ستدفع

الكثيرين ممن لم يقفوا على روعة هذا الفن إلى إعادة النظر في أحكامهم بما يعطيه حقه من حيث التقويم والاهتمام [٣٦]

إذ إن قدرته الفنية لم تتمثل في استعمال التقاليد الفنية السائدة ، أو محاكاة الحروف وفق الطريقة التي ألفها الخطاطون وتعارفوا على رسم نقاطها أو تمديد بداياتها ، وإنما تمثلت قدرته وتجلت مهارته في تكوين الموضوعات الجديدة وتركيب حروف وكلمات النص على وفق ابتداع حديث ، وكان البغدادي يعطي للحرف حقه وقد تمثلت براعته في ضبطه وتمكنه من معرفة وكتابة الخطوط معرفة لا ينافسه فيها أحد ، ولا يضارعه في أجادتها بمجموعها منافس .. وقد أهله ذلك لانتزاع القدرة على ممارسة إبداعية ، لقد كان من أولئك القلائل الذين ظهروا في تاريخ العراق ، وأبدعوا في مجال الخط العربي أيما إبداع ، بل كان أمام وشيخ الخطاطين قبل رحيله بلا منازع ، أصدر البغدادي سلسلة من أربعة أجزاء في(خط الرقعة) سنة (١٩٤٦) وهي معدة للتعليم في المدارس الابتدائية، إلا أن أصدار مجموعته الرائعة (قواعد الخط العربي) سنة (١٩٦٠) ، كانت أهم وأرقى مجموعة للخطوط العربية كافة ظهرت حتى الآن في العالم العربي والإسلامي .. بل تعد بمثابة(مدرسة) إبداعية وتعليمية شاملة [٣٧]

كما تشرف بكتابة المصحف الكريم الذي كتبه الخطاط الشهير محمد امين الراشدي ، وطبع في مطبعة مديرية المساحة ، كما أن له نسخة من القرآن الكريم تعد من أجود أعماله ، كما ظهرت نسخته القيمة للوجود عندما استقر رأي ديوان الأوقاف لأول مرة على طبع المصحف الكريم فأخبروه ليكون مشرفاً على طبعه في ألمانيا

وعاد بعد أكثر من سنة وهو يحمل أية من آيات الجمال في خطوطه وزخرفته ثم تجددت فكرة طبعه مرة ثانية فاختير لهذا الواجب المقدس ومكث لهذا العمل في ألمانيا أكثر من سنتين يواصل عمله ليل نهار عاد بعدها مختتماً أعماله المجيدة بهذا العمل الرائع كما قام بخط وتصميم المسكوكات والعملات الوطنية لبلده ولبعض الأقطار العربية لـ تونس، والمغرب، وليبيا، والسودان ومن شدة حرصه على ضبط قواعد لم يحصل على إجازة منه سوى الخطاط عبد الغني عبد العزيز وكان من تلاميذه صادق الدوري وعبد الله الجبوري ومحمد القاضي ويوسف ذنون وصلاح الدين شيرزاد الذي يشرف الآن على إدارة مجلة حروف عربية التي تصدرها ندوة الثقافة والعلوم(بدبي) في دولة الإمارات العربية المتحدة ومن أثاره الخالدة(كراسة الخط العربي) ، والتي تعد أهم مرجع تدريبي وفني في الاعجاز الخطي للحروف العربية حيث تضم قواعد وأصول تعليم الخط مع ما انمازت به من سهولة ووضوح وعبقرية فطرية وملتقى انبعاث جمالي يأخذ بالألباب وإنه لا يخلو وجودها عند أي خطاط الذي يجهل كراسته الرشيقة والمقدسة فهو جاهل في فنه وفي ما يجب أن يحظى به هذا الفنان القدير من المكانة العالية والمقترنة بالإجلال والاحترام في نفوس كل الخطاطين ومحبي وعاشقي هذا الفن الرائد [٣٨]

إن براعة الخطاط هاشم تتمثل في التزامه القاعدة البغدادية وإتقانه لها أتقاناً فريداً ، واجادتها إجادة بارعة وقد منحه هذا الالتزام قدرة التفوق وإمكانية الاقتدار وبراعة الحذق الجمالي لفنية هذه القاعدة التي ظلت محتفظة بأصولها قروناً عديدة وقادرة على الصمود أمام كل المحاولات التي تعرض لهذا الفن العربي ، وقد كتب لهذه

القاعدة أن تستعيد أصولها ببراعة ، وتستكمل بناءها بقدرة كبيرة ، وتستوعب أبعاد أجزائها بعمق ، وقد استطاع الفنان هاشم أن يتقن قواعد المدرسة التي أظهر أعجابه بها ، وأبدى اعتزازه بروادها ، وحاول أن يقتفي آثارهم بما يعزز الأصول التي عرفتها المدرسة ، وبعدها حاول أن يقف على قواعد المدرسة التركية التي أخذت على نفسها تجويد القاعدة البغدادية وتجميل حروفها ، وضبط أصولها [٣٩] وقد وصلت المدرسة البغدادية عند مشاهير الخطاطين الأتراك إلى أوج رقيها ، وقمة جماليتها ، وقد وفق المرحوم هاشم إلى استخدام القاعدتين ، وإجادتهما بمهارة وإتقان كتابتهما بتمكن ، وقد ظل همه محصوراً في إعادة الحياة إلى القاعدة البغدادية وإرجاعها إلى موطنها الأصلي الذي ترعرعت فيه نورث المسؤولية الكاملة التي أرسى دعائمها (ابن مقلة) و(ابن البواب) و(ياقوت المستعصمي) ، وكل الأقلام الأصيلة التي أخذت في تطوير معالمها ، وتثبيت قواعدها وتحديد ملامحها ، وقد أهلته قدرته التي استطاع أن يحققها من ممارسته الطويلة ، وخبرته الثقافية التي توصل إليها في متابعته وصبره إلى أن يتبوء المكانة الفذة والمركز المرموق والموضع المناسب وقد أصبح بحق حصيلة تراث الخط العربي ، وجامع أمجاده ، وعنوان اكتماله وروعته [٤٠]

زين البغدادي الكثير من المساجد في بغداد وأماكن أخرى في العراق بأروع ما رصعته أنامله من خطوط الكتابة على سطور المحاريب والقباب والمآذن ، فكانت في غاية الفخامة والروعة والعظمة في حسن التراكيب والتداخل بين الحروف ، فضلاً عن تصميمه وخطه [٤١] ، إن الحديث عن الفنان هاشم يقترن بالوجود الفني

والروحي لمعاني الحروف التي كانت تتشابك في الإطار التشكيلي لكل لوحة من لوحاته الخالدة ، التي كانت تأخذ جانب المهارة والإبداع عندما تصل إلى أقصى التكامل وتقترن بالقيمة الفنية التي كانت تكمن في النهايات المتصلة أو المتقاطعة للمفردات وهي تأخذ طريق الالتواء والانحناء والاستقامة ، وتستدير أجزاء حروفها بأشكال جمالية متناسقة ، وبصفاء روحي مركز ، يمنح الحرف دفقاً من الحياة ويشحنه بتراتيل صوفية هادئة ، تتناثر ألوانها على جنبات اللوحة زخرفاً أصيلاً وتتماوج فوق تراكيب الآيات القرآنية أنسياباً فنياً متميزاً ، وفي هذين اللونين من الاقتران ، والطرفين من امتداد الذكرى تتجلى روعة الرحلة التي تقف فيها التراث يستعيد وجوده ويستجمع أصالته وهو يرى قدرة التجاوز التي أحاطت بهذه الرحلة ويتابع إمكانية الانطلاق وهي تشد على خيوط بعدها وامتداد أمدها وصورة شموخها التي ظلت بوارق لمعانها تعطر الأرض زهاء وزخرفة وحضارة [٤٢]

ومن آثاره السطور في جامع العساقي بالأعظمية ، وجامع صالح أفندي (نفس السطور) ، وجامع حسيبة الباجة جي في الكرادة الشرقية ، والسطر الرابع الذي كتبه في جامع الإمام الأعظم سنة ١٣٦٤هـ بالثلث ، وكذلك كتب سطور جامع عادلة خاتون بالصرافية ، وسطور جامع الشاوي ، وسطور جامع سعد بن أبي وقاص مجاور المتحف بالكرخ ، وسطور جامع الوزير ببغداد وباب جامع عثمان افندي ، وسطر جامع الأزبك (بالكوفي) ونفسه في جامع ١٤ رمضان ، وسطور

جامع الشهداء في أم الطبول ومنارة جامع علي أفندي ، وسطور جامع الشهداء في أم الطبول ومنارة جامع علي أفندي ، وسطور جامع الأورفة لي ببغداد ، وباب جامع المرادية ببغداد [٤٣]

ومن أروع آثاره السطر المطل على شارع الرشيد في جامع الحيدر خانة وهو بالثلث المحقق ، وقد وقف طويلاً ينظر إليه عند عودته من ألمانيا ، ومعه نخبة من تلاميذه وهو يبين له خصائص ومزايا الخط المحقق، وكذلك سطوره في جامع الشيخ عبد القادر الكيلاني ، في غاية الفخامة والعظمة في حسن التركيب والتداخل بين الحروف ، ومن أعظم آثاره اللوحة الكائنة في ظاهر جامع ١٤ رمضان من جهة القبلة والمطلة على حدائق الجامع ، وقد صب رحمه الله عصارة فنه وخلاصة إتقانه في سطور جامع المرحوم المحسن الحاج عبد الوهاب البنية ببغداد ، كما صلح سطر جامع الإمام الأعظم في الطارمة (سورة الفاتحة) وهو بخط المرحوم عبد الجبار خان زادة الشيخلي البغدادي ، إلى عشرات الجوامع والمدارس والربط في أنحاء العراق كافة زين واجهاتها وطرز محاريبها وقبابها بخطوطه الرائعة الزاهية ، ومن روائع آثار المرحوم هاشم الزخرفة المثبتة في الدينار العراقي الصادر من المصرف الوطني والدينار العراقي الصادر عن البنك العراقي، مع العلم أنه كتب العملة (التونسية) و(المغربية) و(الليبية) و(السودانية) فضلاً عن المسكوكات العراقية المعدنية الصادرة سنة (١٨٤٨م) و(١٩٥٩م) وهذا ما يدل على ذيوع شهرته في الوطن العربي كله ومركزه الفني والسمعي ، كما كان المرحوم هاشم خبيراً ترجع إليه المحاكم في فحص الخطوط والتواقيع [٤٤]

رسم الخطاط ملامح متميزة خاصة لصورة كتابة الحروف دون المساس أو الاختلال في قواعدها ، كما هو في الخط الديواني مثلاً الذي رسمه على وفق طريقة خاصة الذي يختلف تماماً عن الخط الديواني للخطاط المشهور مصطفى غزلان ، أو ديواني الأتراك أن مثل هذا الإبداع لم يأت بطريقة اعتباطية ، بل جاء وليد مشقة طويلة مليئة بالصبر العنيد والتضحية الجادة والولع الشديد وهيامه بحبه لفن الخط وقدسيته الدينية لمكانة الحرف الذي أخذها منذ صباه عبرتعلمه وحفظه للقرآن الكريم على يد (الملالي) .. ولم يتشتت البغدادي منذ بداياته في هوايات أخرى ، فقد صب جل جهده ووقته لاستقصاء أسرار وألغاز فن الخط حصراً وكتابته المشوقات المستمرة ، وإجادته أنواع الخطوط العربية بضروبها إجادة تامة ، كل ذلك جعل خطه ينماز بالقوة والرشاقة وتنسيق جمالية التركيب ، وتكوين الموضوعات الفنية بأشكال هندسية وزخرفية متناسقة فنياً وفكرياً ، فضلاً عن جعل كتاباته المتناظرة أيقاعاً موسيقياً جميلاً ذا قيمة جمالية عالية [٤٥]

ومكتب الأستاذ هاشم كالروضة الغناء انتشرت الورود بإرجائها ، فهو مزين بلوحاته الرائعة النفيسة المذهبة والمطعمة ذات الأطر البهية ، فضلاً عن لوحات بعض كبار الخطاطين العثمانيين ، الذين يعتز بهم ويعدهم المثل الأعلى في الخط العربي ، وقد عرض في مكتبه بعض (الحلي) جمع حلية بخطه وخط الأتراك القدماء ، والحلية هي لوحة تتضمن كتابة صفة النبي (صلى الله عليه واله وسلم) ، كما وصفه الإمام علي (عليه السلام) ، يتبارى الخطاطون بإجادتها والتفنن بتراكيبها وتصميمها والإبداع في رصف سطورها ، وتحقيق حروفها . والحلية عند

الخطاطين كالمعلقة عند الشعراء ، كما أنها المقياس الذي يحاسب عليه الخطاط ولا يحاسب على سواه ، ويوجه له المدح والقدح بسببها ويهيبها الخطاطون ، ولا يقدم على كتابتها منهم إلا من أنس من نفسه الكفاءة واللياقة ، بحيث يستطيع أن يضيف جمالاً وحسناً في تركيبه وأن يتحاشى التقاليد لمن سبقه إلا في حدود ضيقة يضطر إليها الخطاط اضطراراً ولا يملك لنفسه أو لقلمه فكاكاً منها [٤٦]

رحل أستاذ الأجيال هاشم محمد البغدادي إلى الرفيق الأعلى مبكراً وبشكل مفاجئ ليلة الأثنين السابع والعشرين من ربيع الأول عام (١٣٩٣هـ) الموافق ٣٠ نيسان عام (١٩٧٣م) ، ودفن في مقبرة الخيزران ببغداد التي أحبها وأحبه كتابها وشعراؤها ومفكروها الذين ارتبطوا بجمال حروف خطوطه التي ملأت الأغلفة والإصدارات[٤٧]

الخاتمة :

فالفنان هاشم الخطاط ليس فناناً يمر به الحديث العابر.. أو تتجاوزه الكتابة التقليدية ، وتقف عنده الكلمات ، فهو خلاصة حضارة وتجربة فنية عريقة ، وشموخ تجلت في قدرته وموهبته الفنية في رسم أشكال الحروف ، وهندستها وبداية المجد الفني ، ومؤسس قواعد الخط العربي .. فقد ترك لنا تراثاً مجيداً وأعمالاً فنية خالدة في تاريخ وأصول الخط العربي .

Conclusion:

The artist, Hashem Al-Khattat, is not an artistwho passes through the transiet speech ... or overtaken by traditional

writing, and the words stand for him. He left us with a glorious heritage and timeless works of art in the history and origins of Arabic calligraphy.

قائمة الهوامش

(١) حنش، د. إدهام محمد . الخط العربي وحدود المصطلح الفني ، ط١ ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، الكويت ، ٢٠٠٨ ، ص ٢٤- ٢٥ .

(٢) حنش ، المصدر نفسه ، ص ٢٥- ٢٦.

(٣) عبد السلام، ايمن . موسوعة الخط العربي ، ط١ ، دار اسامة للنشر والتوزيع ، الأردن – عمان ، ٢٠٠٠، ص ٢٦ .

(٤) عبد السلام، المصدر نفسه ، ص ٢٧ .

(٥) الطيبي ، محمد حسن . جامع محاسن كتابة الكتاب ، نشر الدكتور صلاح الدين المنجد ، دار الكتاب الجديد ، بيروت ، ١٩٦٢ ، ص ٥.

(٦) الطيبي ، المصدر نفسه ، ص٥.

(٧) جودي ، محمد حسين . الفن العربي الإسلامي ، ط١ ، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة ، عمان – الأردن ، ٢٠٠٧ ، ص ١٦٩- ١٧٠.

(٨) عفيفي ، فوزي سالم . نشأة وتطور الكتابة الخطية العربية ودورها الثقافي الاجتماعي ، ط١ ، الناشر وكالة المطبوعات ، الكويت ١٩٨٠ ، ص ١٣٨ .

(٩) عفيفي ، المصدر نفسه ، ص ١٣٨ .

(١٠)عفيفي ، المصدر نفسه ، ص ١٣٨ .

(١١) عفيفي ، المصدر نفسه ، ص ١٣٨ .

(١٢) عفيفي ، المصدر نفسه ، ص ١٣٨ .

(١٣) عفيفي ، المصدر نفسه ، ص ١٣٩ .

(١٤) ابن النديم . الفهرست ، (د. ن) (د.ت) ، ص ٨ .

(١٥) عفيفي ، المصدر السابق ، ص ١٤٠ .

(١٦) د. إبراهيم جمعة . قصة الكتابة العربية ، سلسلة اقرأ (٥٣) ، القاهرة ، ١٩٤٧ ص ٦٣ .

(١٧) عفيفي ، المصدر السابق ، ص ١٤٠ .

(١٨) عفيفي ، المصدر نفسه ، ص ١٤٧– ١٤٨ .

(١٩) عفيفي ، المصدر نفسه ، ص ١٤٩ .

(٢٠) عفيفي ، المصدر نفسه ، ص ١٥٢ .

(٢١) عفيفي ، المصدر نفسه ، ١٥٣ – ١٥٤ .

(٢٢) عفيفي ، المصدر نفسه ، ص ١٥٦ .

(٢٣) البداح ، علي . حياة شيخ الخطاطين العرب هاشم، مجلة عراقيون من زمن التوهج ، ع(٣٢٢٠) ، السنة الثانية عشرة، تشرين الثاني ، ٢٠١٤ ، ص ٨ .

(٢٤) البداح ، المصدر نفسه ، ص ٨ .

(٢٥) الموسوي ، حيدر صادق جعفر ، أستاذ الأجيال في الخط العربي هاشم محمد البغدادي ، مجلة السفير ، عدد خاص بيوم الخط العربي ، العدد (٦٦)، أمانة مسجد الكوفة والمزارات الملحقة به ، ٢٠٢٠ ، ص ١٢.

(٢٦) الأعظمي ، وليد . نابغة الخط العربي هاشم محمد البغدادي ، مجلة عراقيون من زمن التوهج ، ع (٣٢٢٠) ، السنة الثانية عشرة ، تشرين الثاني ، ٢٠١٤ ، ص ٦ .

(٢٧) الأعظمي ، المصدر نفسه ، ص ٦ .

(٢٨) الأعظمي ، المصدر نفسه ، ص ٦ .

(٢٩) الموسوي ، المصدر نفسه ، ص ١٢– ١٣ .

(٣٠) الموسوي ، المصدر نفسه ، ص ١٣ .

(٣١) الموسوي ، المصدر نفسه ، ص ١٣ .

(٣٢) الأعظمي ، المصدر السابق ، ص ٦ .

(٣٣) ذنون ، باسم . تعريف بكتاب " خطاطون مبدعون " ، عرض هدى شوكة بهنام ، مجلة المورد ، العدد الرابع ، المجلد الخامس عشر ، ١٩٨٦ ، ص ٤٣٤.

(٣٤) محفوظ ، د. حسين علي . في ذكرى هاشم الخطاط ، مجلة عراقيون من زمن التوهج ، ع (٣٢٢٠) ، السنة الثانية عشرة ، تشرين الثاني ، ٢٠١٤ ، ص ٢ .

(٣٥) محفوظ ، المصدر نفسه ، ص ٢ .

(٣٦) القيسي ، نوري حمودي . مدرسة الخط العراقية من ابن مقلة إلى هاشم البغدادي ، مجلة المورد ، العدد الرابع ، المجلد الخامس عشر ، ١٩٨٦ ، ص ٧٦.

(٣٧) الدليمي ، علي إبراهيم . حياة وذكريات جديدة عن قنديل الخط العربي ، مجلة عراقيون من زمن التوهج ، ع (٣٢٢٠) ، السنة الثانية عشرة ، تشرين الثاني ، ٢٠١٤ ، ص ١١ .

(٣٨) الحمد ، تيسير . الخطاط البغدادي ثروة وطنية نادرة وتجربة فنية رائدة ، مجلة عراقيون من زمن التوهج ، ع (٣٢٢٠) ، السنة الثانية عشرة ، تشرين الثاني ، ٢٠١٤ ، ص ١٢ .

(٣٩) القيسي ، المصدر السابق ، ص ٧٧.

(٤٠) القيسي ، المصدر نفسه ، ص ٧٧ .

(٤١) الدليمي ، المصدر السابق ، ص ١١ .

(٤٢) القيسي ، المصدر السابق ، ص ٧٧ .

(٤٣) الأعظمي ، المصدر السابق ، ص ٧ .

(٤٤) الأعظمي ، المصدر نفسه ، ص ٧ .

(٤٥) الدليمي ، المصدر السابق ، ص ١٠ .

(٤٦) الأعظمي ، المصدر السابق ، ص ٧ .

(٤٧) الموسوي ، المصدر السابق ، ص١٣ .

قائمة المصادر

١- د. أبراهيم جمعة . قصة الكتابة العربية ، سلسلة أقرأ (٥٣) ، القاهرة ، ١٩٤٧.

٢- الأعظمي ، وليد. نابغة الخط العربي هاشم محمد البغدادي، مجلة عراقيون من زمن التوهج ،ع (٣٢٢٠)، السنة الثانية عشرة ، تشرين الثاني ، ٢٠١٤ .

٣- البداح ، علي . حياة شيخ الخطاطين العرب هاشم، مجلة عراقيون من زمن التوهج ، ع(٣٢٢٠) ، السنة الثانية عشرة، تشرين الثاني ، ٢٠١٤ .

٤- جودي ، محمد حسين. الفن العربي الإسلامي، ط١ ، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان – الأردن ، ٢٠٠٧ .

٥- الحمد ، تيسير. الخطاط البغدادي ثروة وطنية نادرة وتجربة فنية رائدة ، مجلة عراقيون من زمن التوهج ، ع (٣٢٢٠) ، السنة الثانية عشرة ، تشرين الثاني ، ٢٠١٤ .

٦- حنش، د. إدهام محمد . الخط العربي وحدود المصطلح الفني ، ط١ ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، الكويت ، ٢٠٠٨ .

٧- الدليمي ، علي إبراهيم . حياة وذكريات جديدة عن قنديل الخط العربي، مجلة عراقيون من زمن التوهج ، ع (٣٢٢٠) ، السنة الثانية عشرة ، تشرين الثاني ، ٢٠١٤ .

٨- ذنون ، باسم . تعريف بكتاب " خطاطون مبدعون " ، عرض هدى شوكة بهنام ، مجلة المورد ، العدد الرابع ، المجلد الخامس عشر ، ١٩٨٦ .

٩- الطيبي، محمد حسن. جامع محاسن كتابة الكتاب ، نشر الدكتور صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت ، ١٩٦٢ .

١٠- عبد السلام، ايمن. موسوعة الخط العربي ، ط١، دار اسامة للنشر والتوزيع، الأردن – عمان ، ٢٠٠٠.

١١-عفيفي، فوزي سالم. نشأة وتطور الكتابة الخطية العربية ودورها الثقافي الاجتماعي ، ط١ ، الناشر وكالة المطبوعات ، الكويت ١٩٨٠ .

١٢- القيسي ، نوري حمودي . مدرسة الخط العراقية من أبن مقلة إلى هاشم البغدادي ، مجلة المورد ، العدد الرابع ، المجلد الخامس عشر ، ١٩٨٦ .

١٣- محفوظ ، د. حسين علي . في ذكرى هاشم الخطاط ، مجلة عراقيون من زمن التوهج ، ع (٣٢٢٠) ، السنة الثانية عشرة ، تشرين الثاني ، ٢٠١٤ .

١٤- الموسوي ، حيدر صادق جعفر ، استاذ الاجيال في الخط العربي هاشم محمد البغدادي ، مجلة السفير ، عدد خاص بيوم الخط العربي ، العدد (٦٦)، امانة مسجد الكوفة والمزارات الملحقة به ، ٢٠٢٠ .

١٥- ابن النديم . الفهرست ، (د. ن) (د.ت) .

List of Sources and reference;

i.Hanash, Dr. Edham Mohamed. Arabic Calligraphy and the Limits of the TechnicalTerm, First Edition, Ministry of Endowments and IslamicAffairs, Kuwait, ٢٠٠٨.

ii. Abdel Salam, Ayman. Encyclopedia of Arabic Calligraphy, ١st Edition, Osama House for Publishing and Distribution, Jordan - Amman, ٢٠٠٠.

iii. Al-Tibi, Muhammad Hassan. JamehMahasinWriting the book, published by Dr. Salah al-Din Al-Munajjid, Dar Al-Kitab Al-Jadeed, Beirut, ١٩٦٢.

iv. Judy, Muhammad Hussein. ArabIslamic Art, ١st Edition, Dar Al Masirah for Publishing, Distribution and Printing, Amman - Jordan, ٢٠٠٧.

v. Afifi and Fawzi Salem. The emergence and development of Arabiccalligraphy and its social cultural role, ١st Edition, Publisher, Publications Agency, Kuwait ١٩٨٠.

vi. Ibn Nadim. Index, (DN) (DT).

vii. Dr. Ibrahim Gomaa. The story of Arabicwriting, Iqraseries (٥٣), Cairo, ١٩٤٧.

viii. Baddah, Ali. Hayat, Sheikh of ArabCalligraphersHashem, Iraqi magazine from Time of Light, p (٣٢٢٠), twelfthyear, November, ٢٠١٤.

ix- Al-Mousawi, HaydarSadiqJaafar, Professor of Generations in Arabic Calligraphy, Hashem Muhammad Al-Baghdadi, As-Safir magazine, a special issue of the Day of Arabic Calligraphy, issue (٦٦), the KufaMosqueSecretariat and itsattachedshrines, ٢٠٢٠.

x. Al-Azhami, Walid. The genius of Arabiccalligraphy, Hashem Muhammad Al-Baghdadi, Iraqi magazine from the Time of Light, p (٣٢٢٠), twelfthyear, November, ٢٠١٤.

xi. Thanoun, Bassem. Introduction to the book "CreativeCalligraphers", presented by HodaShawka Behnam, Al Mawred Magazine, Issue Four, Volume Fifteenth, ١٩٨٦.

xii. Mahfouz, Dr. Hussein Ali . In the memory of Hashem Al-Khattat, Iraqisfrom the Time of Light, P (٣٢٢٠), ١٢th year, November, ٢٠١٤.

xiii. Al-Qaisi, Nuri Hammoudi. The Iraqi Calligraphy Schoolfrom Ibn Muqla to Hashem Al-Baghdadi, Al-Mawred Magazine, Issue ٤, Volume Fifteen, ١٩٨٦.

xiv. Al-Dulaimi, Ali Ibrahim. New Life and Memories of QandilArabic Calligraphy, Iraqi magazine from the Time of Light, p (٣٢٢٠), twelfthyear, November, ٢٠١٤.

xv. Praise, Tayseer. Al-Khattat Al-Baghdadiis a rare national treasure and a pioneeringartisticexperience, Iraqisfrom the Time of Glow, P (٣٢٢٠), ١٢th year, November, ٢٠١٤.

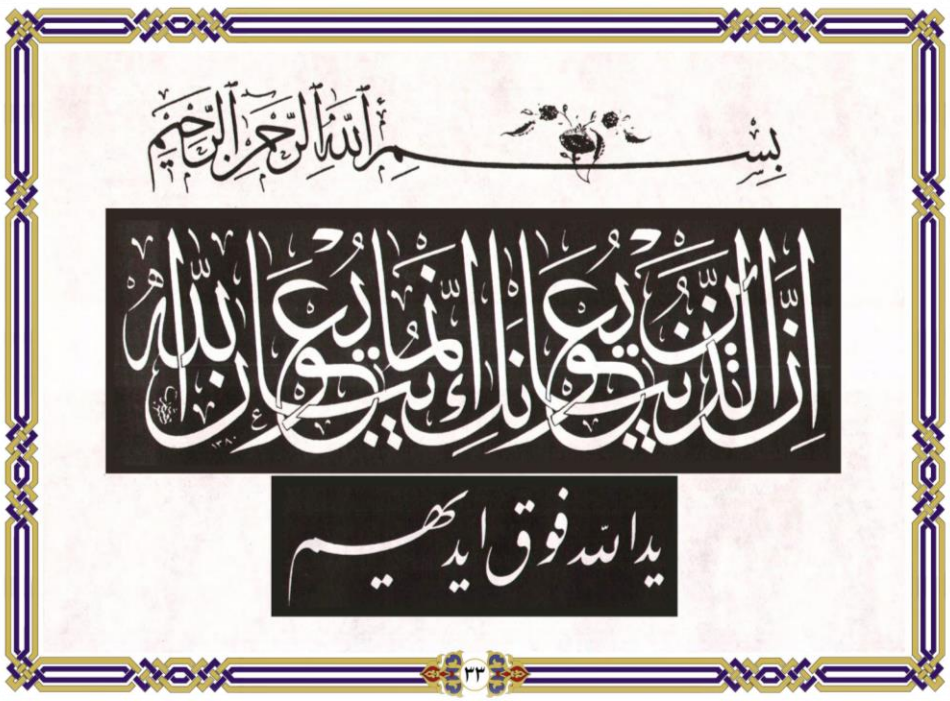

صورة (١) نموذج خط الثلث

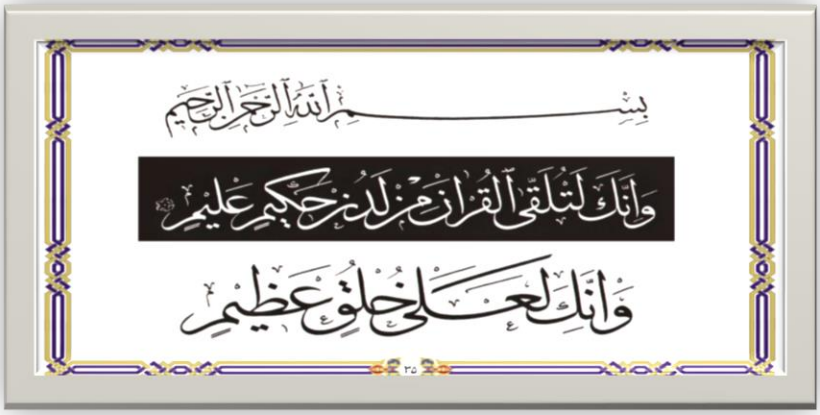

صورة(٢) نموذج خط الثلث

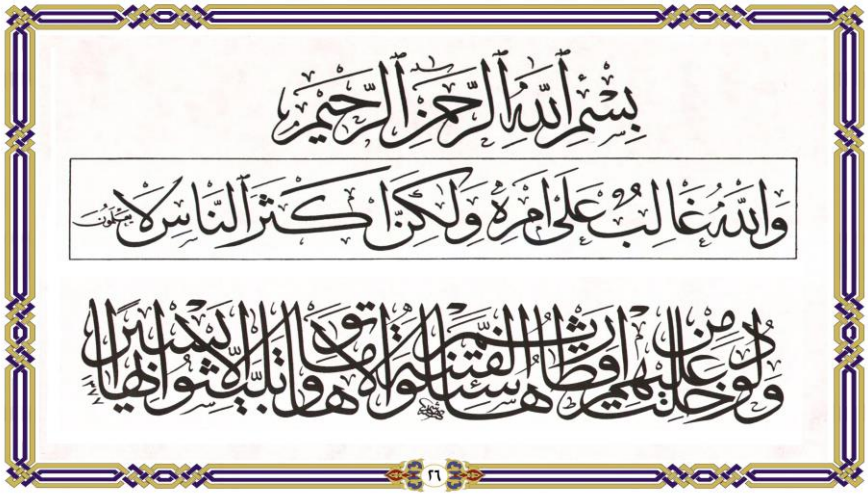

صورة (٣) نموذج خط الثلث